اسم المصدر: الحياة الطبعة السعودية

التاريـــخ: 25-05-2009 رقم العـدد: 16852 رقم الصفحة: 17 مسلسـل: 106 رقم القصاصة: 1

عودة أحاديث الصيف الساخن

عرفان نظام الدين *

■ سـباق محموم نشـهده هذه الأيام بيـن التصعيد والتبريد، وبين التسـوية والتأزيم، وبين التمهيد للسلام والتحضير للحرب أو على الأصح لحروب متشعبة تشهدها المنطقـة في إطار عملية إعادة رسـم خريطة جديدة تثير القلق والمخاوف من أشكالها المدمرة وألوانها السامة.

سباق تبدو فيه الكفة الراجحة للتشاؤم نظراً للعناوين الفاضحـة للمؤامـرة الصهيونيـة وللتعنت المكشـوف للحكومة الإسـرائيلية برئاسة بنيامين نتانياهو وبقيادة المايسترو المتعصب ليبرمان صاحب نظريات قتل العرب وسحق الفلسطينيين وترحيل عرب فلسطين ١٩٤٨ ضمن خطة «الترانسفير» القديمة الجديدة.

وعلى رغم كل ما يقال عن رغبة الرئيس الأميركي باراك أوباما بتحقيق السلام في الشرق الأوسط وعزمه الضغط على إسرائيل لحمل حكومة نتانياهو على الرضوخ لإرادة السـلام والتعامل مع الواقـع بمرونـة وعقلانية فإن كل الدلائل والمؤشـرات ترسـم ملامح صورة مغايرة ترجح التصعيـد وتعيد أحاديث «الصيف السـاخن» الى واجهة واقع المنطقة وأحوالها المتردية سـنة بعد سـنة وعقداً بعد عقد.

فمع اقتراب حلـول الذكرى الثانيـة والأربعين لحرب الخامـس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ يبدو المشـهد قاتماً ومأسـوياً لا يبشر بالخير ولا يدل على حصول اختراقات في جهود السلام أو فتح ثغرة في جدار العقل الصهيوني المتعنت والرافض لأي بحث جدي في إيجاد مخرج يتيح إنهاء الظلم والتوصل الى اتفاق سلام على اساس قرارات الشـرعية الدولية ومبـدأ الأرض مقابل السـلام ولو في الحدود الدنيا للشروط والمطالب والحقوق والوقائع.

منـذ وقوع الحـرب الخاطفـة والمنطقـة تتراجع من حـال الـى حال والأحـوال تتدهور من سـيئ الى أسـوأ والحلول تتقزم وتنهار الواحد تلو الآخر تحت وقع مطرقة الصهيونيـة الدولية وسـندان التخـاذل الدولي والهوان العربي.

بدأنا باللاءات الشـهيرة في قمة الخرطوم (لا صلح، لا اعتـراف، ولا تفاوض) وانتقلنا الـى الموافقة على القرار ٢٤٢ الـذي يحمل فـي طياته نقيض الـلاءات من منطلق الاعتراف بإسـرائيل المحتلـة لأراضي فلسـطين ١٩٤٨ والقبـول بالمفاوضات السـلمية والإقـرار بمبدأ الصلح في حال الالتزام ببنود القرار الذي ينص على الانسـحاب الكامل من الأراضـي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ والعودة الى حدود الرابع من حزيران من سـيناء الى الجولان ومن غزة الـى الضفة وتاجها القدس الشـريف والإقرار بمبدأ حـق اللاجئين الفلسـطينيين في العـودة او التعويض. وكرت سـبحة التنازلات عبـر القـرارات الدولية اللاحقة واتفاقات السـلام واتفاقيات أوسلو وما تبعها من خطط تينت وميتشيل وخريطة الطريق وقرارات اللجنة الرباعية التـي تضم الولايـات المتحدة وروسـيا وأوروبا والأمم المتحدة.

وعلى رغم ذهاب العرب مجتمعين ومجمعين الى مدريد عام ١٩٩١ للمشـاركة في مفاوضات مع اسـرائيل برعاية دوليـة حول مبادرة الرئيس جورج بوش الأب المسـتندة الى مبدأ الأرض مقابل السلام وقرارات الشرعية الدولية، فإن اسـرائيل قلبت المائدة على الجميع ونسفت المبادرة وعادت الى عادتها القديمة في القضم والضم وفي التعنت والعدوان وارتـكاب المجازر وفتح جبهات في فلسـطين ولبنـان ضمن خطة جهنمية للمماطلة والمناورة وكسـب الوقـت كما قال اسـحق شـامير رئيس وزراء اسـرائيل الراحل، أي انه ذهب الى مدريد ليماطل اكثر من ١٠ سنوات وبعدها لكل حـادث حديث تيمناً بقصة الحمار والمحتال الذي وافق على تعليمه الكلام خلال ١٠ سنوات.

وعلى رغم التعثر الشديد وتجاوزاً لسياسة بوش الابن الحمقاء وانحيازه لإسرائيل جاءت مبادرة السلام العربية التـي أطلقها خادم الحرمين الشـريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وأقرتها قمة بيروت العربية لتعيد قلب المائدة في وجه إسـرائيل وأميـركا والعالم وتضـع النقاط على الحروف لتكشـف التعنت الإسـرائيلي وتضع العالم أمام مسؤولياته.

حاولت إسـرائيل جاهدة ان تدفن المبـادرة وهي في مهدهـا، برفضهـا أولاً، وبمحاربتهـا ثانيـاً، ثـم بادعاء القبـول بالتعامل معها وفق شـروط تعجيزية تفرغها من مضمونها وتنسـف أسسـها الواضحة بخاصة بالنسبة للانسحاب الكامل من الأراضي العربية وحق اللاجئين في العودة وإقامة دولة فلسـطينية مستقلة عاصمتها القدس الشريف.

وبعـد ان حذّر العرب في قمة الدوحـة الأخيرة من ان هـذه المبادرة لن تبقى فـوق طاولة المفاوضات الى الأبد وأن لصبـر العرب حدوداً ولا يمكـن ان يدوم لفترة طويلة بدأ السباق بين الحل والتعقيد: الرئيس أوباما عازم على إيجاد مخـرج يتيح له إعلان مبادرته الخاصة بالسـلام، ونتانياهـو وعصابتـه يعملان على سـد جميـع المنافذ والأبواب برفض الانسحاب من القدس والجولان وتحويل الضفـة الغربية وغزة الـى كانتونـات متقطعة الأوصال والتركيز على مشـاريع اقتصاديـة مزعومة بهدف صرف الأنظار عن السلام المنشـود ورمي الفتات للفلسطينيين الباحثين عن لقمة عيش وفرصة أمل.

نتيجـة لهـذه الوقائع تبـدو الصورة مشوشـة جداً، ويضـع اوباما نفسـه في مهـب الريح مع رهـان صعب، يعمـل من خلاله على تجميـع الأوراق بين يديه والضغط

اسم المصدر: الحياة الطبعة السعودية

التاريـــخ: 25-05-2009 رقم العـدد: 16852 رقم الصفحة: 17 مسلسـل: 106 رقم القصاصة: 2

للحصول على تنازلات من الأطراف المعنية، كان من بينها اقتراح لتعديل المبادرة العربية، جوبه برفض عربي قاطع وإصـرار على كامل بنودها باعتبارهـا الحد الأدنى الذي يمكن ان يذهب إليه العرب.

ويحاول أوباما مواصلة رهانه لإقناع الأطراف بمبادرته، غيـر المعلنة والغامضة البنود، عبر القمم المتزامنة التي عقدهـا مع الملك عبدالله الثاني والرئيس حسـني مبارك والرئيس الفلسـطيني محمـود عبـاس ونتانياهو وهو يعرف تماماً حجـم المخاطر وتعدد العقبات والعقد، لكنه لم ييأس بعد ولم يستسـلم لضغـوط اللوبي الصهيوني ولم يتراجع عن سـعيه لمخاطبة العرب والمسلمين بلغة السلام والرغبة في الحوار البنّاء وإزالة رواسب ما خلفته سياسة سلفه بوش. وما زيارته القاهرة سوى ترجمة حية لإرادته ورغبته في المضي نحو الطريق الصعب المحفوف بحقول الألغام والمليء بالرمال المتحركة.

وعلى خط مواز لسـباق واشـنطن نحو السلام ونزع صواعق التفجير في المنطقة تعد روسـيا «طبخة» سلمية علـى نار هادئة وتجري مشـاورات مـع مختلف الأطراف تمهيداً للدعوة لمؤتمر سـلام ترعاه مع الولايات المتحدة كامتـداد لمؤتمر انابوليس الذي دعـا إليه الرئيس بوش فـي آخر ايام عهده لوضع تصور عام للحل لكنه لم يخرج عن إطار فولكلوري دعائي لا طعم له ولا لون ولا رائحة ولا قرارات ولا مبادئ يمكن البناء عليها.

كل هذه الجهود قد تبدو جدية، لكن الواقع على الأرض يعيش في عالم آخر، فالسباق نحو التسخين خلال الصيف المقبل يبدو حامـي الوطيس لأن كل المجريات والأحداث والتحركات والمواقف الإسـرائيلية تثبت ان السلام بعيد وأن جهود أوباما وروسـيا والأمم المتحدة ستذهب سدى طالمـا ان المحتـل الصهيوني يتسـلح بالرفض المطلق لـكل المبـادرات والمقترحات ويعلن جهـاراً انه لن يقبل بالانسـحاب ويرفض الدولة المستقلة ويصر على الهوية اليهودية لإسـرائيل ويعتبر مرتفعات الجولان السـورية خطأ أحمر للأمن القومي وينسـف احتمالات الانسـحاب منها او حتى التفاوض مع سورية في شأنها.

وهناك مؤشـرات كثيرة تؤكد تقدم خيار التصعيد في السباق الحالي من بينها:

* إصـرار حكومـة نتانياهـو على المضي فـي إقامة المسـتعمرات ورفض أي حل جدي ومواصلة خطة تهويد القدس وتهديد المسجد الأقصى المبارك.

* الإعـداد لجولة جديدة من العدوان بشـن حرب على غزة لاسـتكمال ما بدأته حكومة أولمرت ومواجهة حكومة «حماس».

* الإعـداد لأكبر مناورة في تاريخ إسـرائيل على طول الحدود وسط مخاوف من حرب جديدة على لبنان.

* تصاعـد الحديث عن قرب حصول إيران على سـلاح نـووي في موعد أقصاه عـام ٢٠١٠ والتأكيد على وجوب قيام اسرائيل بشـن هجوم خاطف على المنشآت النووية الإيرانية على رغم الرفض الأميركي والتحذيرات المتكررة من التفرد بالقرار.

وفـي إطار هـذه الخطة تبدو إسـرائيل معنية بعرقلة الحـوار بين الولايـات المتحدة وإيران مـن جهة وبينها وبين سورية من جهة ثانية ومحاولة قطع الطريق على أي اتفاق قد يتم التوصل إليـه في إطار رهانات أوباما الذي أعـرب عن رغبة صادقة في الحـوار ومد اليد للتعاون في حل القضايا الإقليمية ولا سيما في العراق وأفغانستان.

كل هذه العوامل تسـاهم في تأجيج نار السـباق بين الانفـراج والانفجار فـي المنطقة وتدفعنـا لتوقع إطلالة صيف سـاخن وأحـداث حبلى بالمفاجآت وسـط معمعة معـارك الانتخابات في إيران ولبنـان وتضارب التكهنات في شـأن نتائجها وأسـاليب التعامل معهـا وتأثيراتها وانعكاسـاتها على مجمل الأحداث والأوضاع وربما رسم خريطة جديدة قد تكون مختلفة عن الخريطة المألوفة.

لهـذا نجـد ان معظـم التوقعـات تأتـي سـوداوية ومتشـائمة، كما ان المعطيات المتوافرة تحذر من أحداث خطيـرة ومفاجآت غير محسـوبة فـي الزمـان والمكان والنتائج، فيما تبشّـر قلة من المراقبين بمسـتقبل أفضل وبحلـول تتجاوز العقبات الحالية علـى رغم كل ما يبدو جليـاً من مأزق وتعقيـدات واسـتحالة التوصل الى حل في ظل حكومـة صهيونية متطرفة. وينطلـق المتفائلون من تجارب سـابقة تحققت فيها اختراقـات بيد حكومات متطرفة ورؤسـاء حكومات مشـهورين بالعنف والإرهاب مثل مناحيم بيغن واسحق شامير وإسحق رابين، إضافة الى معلومات متداولة عن مفاوضات سـرية تحت الطاولة وتجدد المسـاعي التركية والروسية للتقريب في وجهات النظر وإيجاد قواسم مشتركة يمكن البناء عليها للانطلاق نحو تجاوز العقبات ووضع اسس تفاهمات جديدة.

الصيف على الأبواب، والصورة سـتتضح أكثر خلال أيام قليلة، وبعدها سـتدل مقاييس الحرارة على الدرجات المتوقع تسـجيلها فـي المنطقة، وهـذا يتطلب الحيطة والحـذر وتجنّـب القيـام بأي عمـل قد يعطي اسـرائيل الذرائـع والحجـج للهـروب مـن اسـتحقاقات المرحلة وتجـاوز الضغوط الأميركية واسـتئناف مسـيرة العنف والمجازر والحروب. كما يتطلب الأمر مواصلة التنسـيق والتعاون بين العرب لحل الخلافات وتحقيق المصالحات ومواجهة العالم بموقـف موحد يمنع الاختراقات ويحمل إدارة الرئيس أوباما على مواصلة جهودها وعدم التراجع عن مواقفها المعلنة حفاظاً على مصالحها وتجنباً لهزات جديدة تصيبها في الصميم.

* كاتب عربي